إبراهيم بن أدهم

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[1]

إبراهيم بن أدهم

إبراهيم بن أدهم
سلطان الزاهدين

نسبه:

هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمى.

وقيل: العجلي كان أكثر دعائه:

اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

كان يكنى بأبي إسحاق.

كان أبوه من أهل بلخ وكان من ملوك خراسان.

كان أبوه أميرا من أمراء خراسان، وكان يعيش عيشة الترف ولكنه ترك هذا الترف والنعيم وانصرف إلى عبادة الله والدعوة إلى الحق حتى أنفق كل ما له وعمل أجيرًا.

روى الحد يث عن أبيه و الأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبى هريرة

نصف التفاحة:

خرج أدهم البلخ ي ذات يوم فمر ببساتين مدينة بخاري، فتوضأ من بعض أنهارها، فرأى تفاحة يحملها ماء النهر فقال لنفسه:

- هذه لا خطر لها.

فلما أكلها وقع في خاطره من ذلك وسواس - ظن أنه أكلها دون إذن صاحبها - فعزم على أن يستحل صاحب البستان، فمشى إليه وقرع - دق - باب البستان، فخرجت إليه جارية - فتاة - فقال لها:

- ادعى لي صاحب المنزل.

قالت الجارية:

- إنه لإمرأة.

فقال أدهم البلخي:

- استأذني عليها

ففعلت الجارية، ولما قابل أدهم البلخى صاحبة البستان أخبرها بخبر التفاحة، فقالت المرأة:

- إن هذا البستان نصفه لي، ونصفه للسلطان.

ثم أردفت المرأة:

- وأنت تعلم أن السلطان ببلخ، وهي على مسيرة عشرة أيام من بخارى.

وسكتت المرأة قليلا ثم قالت:

- لقد أحللت لك نصف التفاحة - جعلتها لك حلالا -.

إن صاحبة البستان استحللته نصف التفاحة، ولكن النصف الآخر؟ لابد أن يستحل السلطان.

وانطلق أدهم إلى بلخ واعترض موكب السلطان، وأخبره خبر التفاحة، فأمره السلطان أن يعود إليه في الغد.

وكان للسلطان بنت رائعة الجمال، قد خطبها أبناء الملوك فأبت، لقد حببت إليها العبادة وحب الصالحين، وقررت ألا تتزوج إلا من رجل ورع زاهد في الدنيا.

ولما رجع السلطان إلى قصره، دعا ابنته وأخبرها خبر الرجل والتفاحة ثم قال:

- رجل يأتي من بخاري إلى بلخ من أجل نصف تفاحة؟ ما رأيت أورع من هذا.

فرغبت الفتاة في الزواج من أدهم، ولمح السلطان ذلك في عيني

ابنته فتبسم ولما أتاه أدهم في الغد قال له السلطان:

- لا أحلك نصف التفاحة إلا بشرط.

تساءل أدهم:

- ما هو؟

قال السلطان:

- أن تتزوج من ابنتي.

عبثت أنامل أدهم في لحيته، إنه لم يفكر في الزواج بعد فكيف..؟

وجذبه من بحر تفكيره صوت السلطان:

- أخبرنا الحبيب المحبوب ﷺ أن من غشنا فليس منا

فقال أدهم في صوت خافت:

- غشنا..؟ ليس منا؟ ماذا تعنى..؟

تبسم السلطان وقال:

- إن هناك أشياء لابد أن أحيطك بها خبرا عن ابنت ي حتى لا ترميني بعد ذلك بالغش والتدليس.

قال أدهم في عجب:

- غش؟ تدليس؟

قال السلطان:

- إن ابنتي قد فقدت كريمتيها.

فتساءل أدهم:

- يعنى فقدت بصرها؟

فقال السلطان وما زالت البسمة على شفتيه:

- عمياء ولا تسمع أيضا.

وربا عجب أدهم وقال:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال السلطان:

- ونسيت أن أخبرك أنها قبيحة عرجاء

فدفن أدهم وجهه بين كفيه وقال لنفسه:

-{ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦} [سورة البقرة الآية: ١٥٦].

وجاءه صوت السلطان متسائلا:

- ماذا قلت؟

قال أدهم:

- قلت: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فقال السلطان:

- خير القول ولكن كنت أريد أن ترد على لكي أحلك من نصف التفاحة.

لم تكن دهشة وعجب أدهم من أن يتزوج فتاة قبيحة عمياء صماء عرجاء ولكن ما سر هذه البسمة التي على شفتي السلطان؟

وافق أدهم على الزواج من ابنة السلطان فأحله السلطان من نصف التفاحة.

سر بسمة السلطان:

كان أدهم يطمع في الثواب ا لأوفى عندما قبل الزواج من فتاة قبيحة عمياء عرجاء، ولم يخطر بباله أن يكون صهر السلطان في يوم ما.

تهيأ أدهم للدخول على زوجه، لم يفكر في قبحها ولكنه كان شارد

الذهن يفكر في البسمة التي مازالت على شفتي السلطان منذ أن قبل أن يكون صهره.

دخل أدهم حجرة عرسه فوجد فتاة توليه ظهرها فقال وكأنه يحدث نفسه:

لماذا لا ألقى عليها السلام؟ ولكن أباها أخبرني أنها لا تسمع، إذا لم ترد على السلام فسأنال عشر حسنات.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فجاءه صوت كصوت البلبل:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

تلفت أدهم حوله، هل جاءت إحدى الجواري بصحبة سيدتها؟ ولكنه لم يرى أحدًا إلا زوجه التي توليه ظهرها، لماذا لا يعيد الكرة ويتحدث مرة أخرى؟ لكن ماذا يقول؟ وجاءه صوت البلبل المغرد:

- هل صليت العشاء؟

إنها هي.. التي تتكلم، ولكن أباها أخبره أنها لا تسمع ولا تتكلم.

نظر إليها في دهش وقال:

- لقد أخبرنى أبوك أنك...

قالت مكملة:

- أنني عمياء وصماء وقعيدة و..

قال أدهم:

- لماذا زعم ذلك إذاً؟

قالت:

- لقد صدق أبى.

قال أدهم:

- كيف؟.

قالت:

- لأنني عمياء أغض بصري عن محارم الله، بكماء لا أتكلم ولا أجلس في مجلس فيه غيبة أو نميمة أو لغو، ولا أسمع إلى حديث باطل وأعرض عن اللغو، وقعيدة لا تمشى قدمي إلا في طاعة الله عز وجل.

قال أدهم:

- ادني.

قامت من مك انها، و استدارت، فوقعت عيناه على وجه بدري وعينين أهدابهما تخفق خفق القلب ثم تبسمت وقالت:

- ألا تريد بعض الفاكهة؟

وقبل أن يجيب مدت يدها نحو سلة بها تفاح وعنب وتين، ثم تناولت تفاحة وقدمتها إليه، فتناولها من يدها وتنهد تنهيدة ارتياح، لا لأنه وجد عروسه كالبدر يوم الرابع عشر وأنها ليست عمياء ولا صماء ولا بكماء ولكن لأنه عرف سر بسمة السلطان...

مولد إبراهيم بن أدهم:

كان أدهم البلخى رجلا صالحا، يحج كل عام، وبينما كان هو وزوجه في أم القرى جاءها المخاض، فلما وضعت هتف أدهم:

- ولد.. إنه إبراهيم.

ثم لفه في خرقة وراح يطوف به حول الكعبة ويتبع أولئك العباد والزهاد ويقول:

- ادعوا الله له.

فدعا بعضهم له.

ليس لهذا خلقت:

فرح السلطان بحفيده إبراهيم بن أدهم، فلم يكن له ولد، لقد قرر أن يسند إليه الملك ولكن إبراهيم بن أدهم كان مشغولا بحفظ القرآن والسعي وراء العلم.

خرج إبراهيم بن أدهم ذات يوم للصيد فركب فرسه وتبعه كلبه، بينما هو يطارد أرنبا أو ثعلبا سمع صوتا من ورائه:

- ليس لهذا خلقت، ولا بذا أمرت.

فوقف إبراهيم بن أدهم ينظر يمنة ويسرة فلم ير أحدا فقال:

- لعن الله إبليس.

ثم حرك فرسه فسمع نداء أجهر من ذلك:

- يا إبراهيم ليس لهذا خلقت، ولا بذا أمرت.

فوقف ينظر يمنة ويسرة فلم ير أحدًا، فقال:

- لعن الله إبليس.

ثم حرك فرسه، فسمع نداء من قربوس سرجه - الجمع قرابيس، وللسرج قربوسان فأما القربوس المقدم ففيه العضدان وهما رجلا السرج، والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرة -:

- يا إبراهيم: ليس لهذا خلقت، ولا بذا أمرت.

فوقف إبراهيم بن أدهم وقال:

- أنبهت أنبهت، جاءني نذير من رب العالمين.

ورجع إبراهيم بن أدهم إلى أهله فخلى عن فرسه، ثم جاء إلى رعاة أبيه فأخذ من أحدهم جبة وكساء، وألقى ثيابه إليه.

هل عزم على أن يتخلى عن الملك والسلطان؟ هل خرج طالبا رحمة الله وبحبوحة الجنة؟

لقد كان في نعيم وأبهة وهناء وسعادة، إذا خرج راكبا فرسه حضر بين يديه نحو عشرين شاكري - حرس - هل قرر أن يدع ذلك كله؟

الخروج في طلب الحلال:

خرج إبراهيم بن أدهم شطر العراق أرض ترفعه وأرض تضعه حتى وصل إلى العراق فعمل بها أياما فلم يصف له منها ش يء من الحلال، فسأل بعض المشايخ عن الحلال فقالوا:

- إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام.

فصار إلى بلاد الشام، فلما ورد مدينة المصورة - المصيصة - عمل بها أياما، فلم يصف له شيء من الحلال، فسأل بعض المشايخ فقالوا:

- إن أردت الحلال الصافي فعليك طرسوس فإن فيها المباحث والعمل الكثير.

فتوجه إبراهيم بن أدهم إلى طرسوس، وعمل بها أياما ينظر - يحرس - البساتين ويحصد الحصاد.

وذات يوم بينما كان إبراهيم بن أدهم جالسا على باب البحر إذ جاءه رجل فاكتراه ينظر له بستانه، فكان في بساتين كثيرة.

وذات ضحى أقبل صاحب البستان ومعه أصحابه فقعد في مجلسه ثم صاح:

- يا ناظور - حارس -

فقال إبراهيم بن أدهم:

- هو ذا أنا.

فقال صاحب البستان:

- اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه.

فذهب إبراهيم بن أدهم فأتى بأكبر رمان فأخذ صاحب البستان رمانة فوجدها حامضة فقال له:

- يا ناظور أنت في بستاننا منذ كذا تأكل فاكهتنا وتأكل رماننا، ولا تعرف الحلو من الحامض؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- والله ما أكلت من فاكهتكم شيئا وما أعرف الحلو من الحامض فأشار صاحب البستان إلى أصحابه وقال:

- أما تسمعون كلام هذا؟

ثم التفت إلى إبراهيم بن أدهم وقال له:

- أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم...؟ ما زاد على هذا فانصرف.

فلما كان من الغد ذكر صفة إبراهيم بن أدهم في المسجد، فعرفه بعض الناس، فجاء صاحب البستان ومعه عنق - رسل أو جماعة أو طائفة - من الناس، فلما رآه إبراهيم بن أدهم قد أقبل مع أصحابه اختفى خلف شجرة، ولما اندفع الناس إلى البستان اختلط إبراهيم بن أدهم بهم ثم هرب وخرج من طرسوس إلى بلاد الرمال - الصحراء -

* وذهب إبراهيم بن أدهم إلى غزة فعمل ناظورا ينظر كرما - عنبا - في كورة غزة، وذات يوم جاء صاحب الكرم ومعه أصحابه فقال لإبراهيم بن أدهم:

- إئتنا بعنب نأكل.

فأتاه إبراهيم بن أدهم بعنب يقال له الخافوتى، فإذا هو حامض، فقال له صاحب الكرم:

- من هذا تأكل؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- ما آكل من هذا ولا من غيره.

فتساءل صاحب العنب:

- لم؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- لأنك لم تحد - تجعل - لي شيئا من العنب.

قال صاحب البستان:

- فأتني برمان.

فأتاه برمان، فإذا هو حامض، فقال صاحب البستان:

- من هذا تأكل؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- لا آكل من هذا ولا من غيره، ولكن رأيته أحمر حسنا فظننت أنه حلو.

قال صاحب البستان:

- لو كنت إبراهيم بن أدهم ما عدا - ما فعل غير ما فعلت -

فلما علم إبراهيم بن أدهم أن الناس عرفوه هرب وترك أجره عند صاحب البستان.

* وانطلق إبراهيم بن أدهم إلى عسقلان، فر اح يحصد وينظر، فنظر بستانا لنصراني فيه أصناف الشجر، وذات ضحى قالت امرأة النصراني لزوجها:

- يا هذا استوص بهذا الرجل خيراً فإني أظنه الرجل الصالح الذي يذكرونه.

فقال النصراني:

- وكيف عرفتيه؟

قالت امرأة النصراني:

- احمل إليه الغداء فأدرك عنده العشاء، وأحمل إليه العشاء فأدرك عنده الغداء.

وسأل خلف بن تميم إبراهيم بن أدهم:

- منذ كم نزلت بالشام؟

- منذ أربع وعشرين سنة، ما نزلتها لجهاد ولا لرباط.

فتساءل خلف بن تميم:

- لأي شئ نزلتها؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- لأشبع من خبز حلال

إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي:

لقي شقيق البلخي إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقال له:

- يا إبراهيم تركت خراسان؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- ما تهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق، ومن جبل إلى جبل ، فمن يراني يقول: موسوس، ومن يراني يقول: هو حمال.

ثم قال إبراهيم بن أدهم:

- يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج ولا بالجهاد، وإنما نبل عندنا من نبل من كان يعقل ما يدخل جوفه - يعنى الرغيفين - من حله - من حلال -

ثم قال إبراهيم بن أدهم:

- يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء؟ لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا حج ولا جهاد ولا عن صلة رحم.

ثم أشار إبراهيم بن أدهم بإبهامه وقال:

- إنما يسأل هؤلاء المساكين - يعنى الأغنياء - علام الهم؟

مر أبو إسحاق على رجل يكسو الحزن وجهه ويملأ الهم عينيه، فسأله:

- يا عبد الله إني أسألك عن ثلاث فأجبني.

قال الرجل:

- أفعل

قال إبراهيم بن أدهم:

- أيجرى في هذا الكون شئ لا يريده الله عز وجل؟

هز الرجل رأسه وقال:

- كلا.

قال أبو إسحاق:

- أفينقص من رزقك شيء قدره الله لك؟

قال الرجل:

- كلا.

قال إبراهيم بن أدهم:

- أينقص من أجلك ساعة كتبها الله لك في الحياة؟

قال الرجل:

- كلا.

قال أبو إسحاق:

- فعلام الهم إذاً؟

فتبسم الرجل.

كيف يستجيب الله لكم؟

قال رجل لأبى إسحاق:

- يا تق ي الدين ما بالنا ندعو الله فلا يستجاب لنا؟ وقد قال تعالى:{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [سورة غافر الآية: ٦٠].

قال إبراهيم بن أدهم:

- لأن قلوبكم ميتة.

قال الرجل:

- ما الذي أماتها؟

قال سلطان الزاهدين:

- عشر خصال

قال الرجل:

- ما هن؟

قال أبو إسحاق:

- عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا لحدوده.

وقلتم: نحب الرسول ﷺ و وتركتم سنته.

وقلتم: نخشى الموت ولم تستعدوا له.

وقد قال تعالى:{ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ } [سورة فاطر الآية: ٦]، فواطأتموه - وافقتموه - على المعاصي.

وقلتم: نخاف النار، وأهرقتم أبدانكم فيها.

وقلتم: نحب نعمة الله، ولم تؤدوا شكره.

ودفنتم موتاكم، ولم تعتبروا بهم

وإذا قمتم من فرشكم، رميتم عيوبكم وراء ظهوركم، وافترشتم عيوب الناس أمامكم، فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم؟

عمل بلا أجر:

كان سهل بن بشر يكسر الحطب وقد أعياه العمل، فمر به إبراهيم بن أدهم فقال له:

- يا محمد قد أعياك؟

قال سهل بن بشر:

- نعم

قال إبراهيم بن أدهم:

- فتأمر لنا به؟

قال سهل بن بشر:

- نعم

قال إبراهيم بن أدهم:

- وتعيرنا الفأس؟

قال سهل بن بشر: نعم.

فأخذ إبراهيم بن أدهم أعواد الحطب والفأس ومضى.

وبينما سهل بن بشر مضطجعا إذ بالباب قد فتح والحطب يطرح في الباب مكسرا، ثم ألقى إبراهيم بن أدهم الفأس وأغلق الباب ومضى.

وكان إبراهيم بن أدهم إذا صلى العشاء وقف بين يد ي الدور ونادى بأعلى صوته:

- من يريد يطحن؟

فكانت المرأة تخرج القفة و..، ينصب إبراهيم بن أدهم الرحى بين رجليه فلا ينام حتى يطحن بلا كراء، ثم يأتي أصحابه.

وكان إبراهيم بن أدهم يحب الحصاد، فإذا فرغ من الحصاد أرسل بعض أصحابه فحاسب صاحب الزرع، ويج يء بالدراهم لا يمسها بيده ويقول لأصحابه:

- اذهبوا كلوا بها شهواتكم.

فإذا لم يكن حصاد عمل في نظر البساتين، وكان إذا عمل ارتجز:

اتخذ الله صاحبا ∴ ودع الناس جانبا

إلى بيت المقدس:

خرج إبراهيم بن أدهم إلى السوق فلقي أبا سليمان فسأله:

- أين تريد؟

قال أبو سليمان:

- إلى بيت المقدس.

قال إبراهيم بن أدهم:

- أنا والله يا أبا سليمان أريد بيت المقدس.

فقال أبو سليمان:

- الصحبة يا أبا إسحاق.

قال إبراهيم بن أدهم:

- نعم.

فمضى أبو سليمان مع أبى إسحاق إلى بيته فأخرج أبو سليمان دورقا مشدود الرأس فيه كسر خبز وجعله في مخلاته ورد الدورق وأغلق الباب وقال لإبراهيم ابن أدهم:

- امض بنا.

فمضيا حتى إذا صارا قريبا من خارج السوق قال أبو إسحاق:

- يا أبا سليمان إني أريد أن أحتجم.

فذهبا إلى الحجام، فاحتجم إبراهيم بن أدهم وحده ثم قال:

- يا أبا سليمان معك شئ؟

قال أبو سليمان:

- نعم.

قال إبراهيم بن أدهم:

- وإيش معك؟

فأخرج أبو سليمان صرة فيها ثمانية عشر درهما، فقال أبو إسحاق:

- ادفعها إلى الحجام.

قال أبو سليمان:

- يا أبا إسحاق أدفعها كلها إلى الحجام؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- نعم ادفعها كلها كما أقول.

وكان أبو إسحاق لا يراجع في ش يء، فدفع أبو سليمان ثمانية عشر درهما إلى الحجام وخرجا.

فلما مشيا قدر ميل أو ميلين قال أبو سليمان:

- يا أبا إسحاق تيك الدراهم كنا حملناها لنشترى بها من بيت المقدس ما ندخل به - من السرور - على الصبيان والعيال، فقلت أعطها كلها للحجام فأعطيناها وفرقت منك، والله ما معي ش يء غيرها.

فسكت إبراهيم بن أدهم ولم يجب أبا سليمان، فأعاد على أبى

إسحاق حديثه مرة أخرى وذكر الدراهم فكان إبراهيم بن أدهم لا يرد عليه.

ولاحت لهما قرية ناحية عن الطريق فقال أبو إسحاق:

- يا أبا سليمان إن من رأيي أن أبيت في هذه القرية.

قال أبو سليمان:

- نعم الرأي.

فمالا نحوها ودخلا القرية وقد غربت الشمس والمؤذن جالس يريد أن يؤذن فقالا:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فرد المؤذن السلام، ودخلا المسجد، فلما انتهى المؤذن من النداء قال له إبراهيم بن أدهم:

- من أنت؟ من أهل ههنا؟

قال المؤذن:

- نعم.

فقال أبو إسحاق:

- تعلم لنا بهذه القرية حصادا نحصده؟

قال المؤذن:

- قد حصد أهل القرية وما ههنا إلا حقلين كبيرين لرجل نصراني.

فقال إبراهيم بن أدهم:

- فإذا صليت إن شاء الله فاذهب بنا إليه ف إنا شيخان كما ترى حصادان نجيد العمل.

قال المؤذن:

- ما شاء اهل

فلما فرغوا من صلاة المغرب قال إبراهيم بن أدهم للمؤذن:

- امض بنا آجرك الله إلى النصراني حتى تكلمه فينا.

فقال المؤذن:

- سبحان الله دعنا نركع عافاك الله.

فسكت أبو إسحاق، وصلى المؤذن ركعت ي إدبار السجود - سنة المغرب التي بعده - وركع إبراهيم بن أدهم، ثم قال للمؤذن:

- امض بنا.

فخرج المؤذن ومعه أبو سليمان وأبو إسحاق حتى قرع باب النصراني فخرج فقال المؤذن:

- إن هذين الشيخان غريبان وهما يجيدان الحصاد، وقد ذكرت لهما أمر حقليك هذين، وقد تأبى عليك أهل القرية فيهما، وأرجو من هذين الشيخين أن يحصدا لك كما تحب، فأرهما إياه واستعملهما.

قال النصراني:

- ما شئت.

ومضى النصراني، ومضى أبو سليمان و إبراهيم بن أدهم معه وأراد المؤذن أن يرجع إلى منزله أو المسجد فقال له إبراهيم بن أدهم:

- أحب منك أن تبلغ معنا ف إنك تؤجر - تنال ا لأجر والثواب - فجاء المؤذن معهم، ودخل النصراني فأراهما الحقلين وكانت الليلة مقمرة.

فقال أبو إسحاق:

- قد رأينا ونحن نجيد العمل إن شاء الله تعالى، فأعطنا ما أحببت.

قال النصراني:

- سلوا.

قال أبو إسحاق:

- ما نسألك شيئا، أذكر أنت ما شئت، وانظر لنفسك، وما أعطيت من شئ فأعط هذا الشيخ المؤذن يكون على يديه، فإن رأيت من عملنا ما تحب مره يعطينا، وإن كرهت فأنت في سعة وحقك لك.

فقال النصراني:

- أعطيكم ديناراً.

فقال إبراهيم بن أدهم:

- قد رضينا، ادفع الدينار إلى الشيخ الليلة إن شاء الله نبتدئ في عملك.

فجاء النصراني بدينار ودفعه إلى الشيخ المؤذن، ورجع أبو إسحاق وأبو سليمان مع المؤذن إلى المسجد، فلما صلوا العشاء، قال أبو إسحاق:

- قد أغفلنا - نسينا - ليس معنا مناجل، قل للنصران ي ابعث إليه يعطينا منجلين.

قال الشيخ المؤذن:

- عندي أنا أعطيكما.

فأرسل الشيخ إلى منزله فأتى بمنجلين جيدين، فقال أبو إسحاق لأبي سليمان:

- امض بنا إلى الحقل.

فانطلقا ودخلا الحقل، وكان به ماء فتوضأ إبراهيم بن أدهم وصلى أربع ركعات ثم قال:

- يا أبا سليمان ما أقبح بنا شخصين من أهل الإسلام، تذهب ليلتنا

في عمل نصراني لا نركع ولا نصلى لله من هذا الموضع؟ فإني لا أحسب أحداً صلى فيه قط، أنظر أيما أعجب إليك يا أبا سليمان، تصلى أنت ههنا في هذا الموضع وأذهب أنا فأحصد؟ أو تذهب أنت فتحصد وأقيم أنا فأصلى ما قدر لي؟

فأعجب أبو سليمان ما قاله إبراهيم بن أدهم فقال:

- أنا أقيم ههنا وأصلى، واذهب أنت فاحصد.

فتشمر أبو إسحاق وشد وسطه بمنطق - حزام - وأخذ المنجل وذهب.

وأقام أبو سليمان مكانه فصلى ثم وضع رأسه فنام، فجاءه إبراهيم بن أدهم في آخر الليل فقال:

- يا أبا سليمان أراك نائما، قم بنا هذا الصبح والساعة يطلع الفجر قد فرغت من عمل النصراني.

فتساءل أبو سليمان في عجب:

- وقد فرغت منهما - الحقلين - جميعا؟

قال أبو إسحاق:

- قد أعاننا الله تعالى.

فتوضأ من ماء الحقل، وجلسا ساعة حتى إذا أصبحا جاءا فصليا مع الشيخ المؤذن، ثم قال له إبراهيم بن أدهم:

- سلام عليك.

فقال المؤذن:

- وعليك السلام.

قال أبو إسحاق:

- إنا فرغنا من عمل النصراني قد حصدناه كله وجززناه - قطعناه

- كما ينبغي.

فأطرق المؤذن ثم رفع رأسه وقال:

- ما أحسبك يا شيخ إلا قد أهلكت النصراني ونفسك وصاحبك؟ فإن ذلك عمل لا يفرغ منه في خمسة أيام ولياليها، تقول أنت: قد فرغنا منه في ليلة؟ إيش هذا؟

فقال إبراهيم بن أدهم:

- سبحان الله، ما أقبح الكذب، امض بنا عافاك الله إن رأيت إلى ذلك النصراني حتى يدخل حقليه فإن رأى عملا محكما على ما يحب أمرك أن تعطينا حقنا، وإن فيه فسادٌ تركنا حقنا، وإن لزمنا غرم غرمنا.

فقال المؤذن:

- أشهد أن الله تعالى فعال لما يريد، امضوا بنا على اسم الله تعالى.

فمضوا إلى النصراني، فلما خرج قال له الشيخ المؤذن:

- إن هذا الشيخ يزعم أنه قد فرغ من عملك كله وحصده حصاداً جيداً وجزه على ما ينبغي.

فأرخى النصراني عينيه يبكي، وأخذ كفا من تراب ووضعه على رأسه وجعل ينتف لحيته.

وأقبل أهل القرية باللوم على الشيخ وقال له النصراني:

- غررتني.

فقال إبراهيم بن أدهم:

- يا نصراني لا تفعل وامض بنا ولا تعجل باللوم على الشيخ، فإن رأيت ما تحب وإلا فأنت على رأس أمرك.

فما زاده كلام إبراهيم بن أدهم إلا بكاء ونتفا للحيته، ثم قال:

- إيش تقول؟ أهلكتني وأهلكت عيالي.

فمر رجلٌ من أهل القرية فقال أبو إسحاق:

- استأجر هذا الرجل بدرهم على حتى يدخل الحقل فإني أحسبه إلا زارعا، فإن رأى في الحصاد تقصيرا جاءك فأخبرك، وإن رأى خيرا جاء وأعلمك.

فقال الشيخ المؤذن:

- امضوا بنا.

وأخذ بيد النصراني فأقامه، ودخلوا الحقل الأول فإذا هو قد حصد حصاداً جيداً، وإذا جرز مربوطة مكومة جيدة.

ثم دخلوا الحقل الثاني فإذا هو كذلك، فعجب الشيخ وعجب النصراني، وقال النصراني للشيخ المؤذن:

- أعطهما الدينار وأزيدهما دينارا آخر.

فتساءل إبراهيم بن أدهم:

- تنكر شيئا؟

قال النصراني.

- لا.

قال أبو إسحاق:

- ما ذكرت من الزيادة فلا حاجة لنا فيها، هلم الدينار.

فدفع الدينار إلى إبراهيم بن أدهم، فقال أبو إسحاق لأبي سليمان:

- يا أبا سليمان خذ هذا الدينار واعلم أنك ليس تصحبني إلى بيت المقدس، إما أن أرجع إلى عسقلان وتمضى أنت إلى بيت المقدس،

وإما أن أمضى وترجع أنت إلى عسقلان.

فبكى أبو سليمان وقال:

- يا أبا إسحاق الصحبة.

قال أبو إسحاق:

- لا كررت على الدراهم الدراهم، خذ هذا الدينار وانصرف إلى أهلك بارك الله لك.

فأخذ أبو سليمان الدينار ورجع إلى عسقلان، ومضى إبراهيم بن أدهم إلى بيت القدس.

أشد يوم:

كان إبراهيم بن أدهم صائما هو ورفيقه، فلما كان عند ا لإفطار لم يكن عندهما شئ يفطرا عليه فقال رفيق إبراهيم بن أدهم:

- يا أبا إسحاق هل لك في خصلة - حل ومخرج من هذه الشدة - ؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- ما هي؟

قال رفيقه:

- أن نأتي باب الرستن فنكرى أنفسنا مع هؤلاء الحصادين فأتيا باب الرستن، فجاء رجل فلكرى رفيق إبراهيم بدرهم فقال:

- وصاحبي؟

قال الرجل وهو ينظر إلى أبى إسحاق:

- صاحبك ضعيف لا أريده.

فما زال صاحب إبراهيم بن أدهم بالرجل حتى اكتراه بأربعة دوانق، وكانا صائمين، فلما كان عند المساء أخذ رفيق أبى إسحاق الكراء - الأجر - من الرجل وأتى السوق فاشترى ما احتاج إليه

وتصدق بالباقي، فقال إبراهيم بن أدهم:

- أما نحن فقد استوفينا أجرينا فليت شعري أوفيناه أم لا؟

فغضب صاحب إبراهيم بن أدهم، فلما رأى غضبه قال:

- لا بأس، تضمن لي أنا أوفيناه عمله؟

فلما رأى رفيق إبراهيم بن أدهم ذلك أخذ منه الطعام فتصدق به.

يقول أبو معاوية الأسود:

- رأيت إبراهيم بن أدهم يأكل الطين عشرين يوما.

فنظر إليه أبو معاوية في عجب فقال أبو إسحاق:

- يا أبا معاوية لولا أن أتخوف أن أعين على نفسي ما كان لي طعام إلا الطين حتى ألقى الله عز وجل، حتى يصفو لي الحلال من أين هو.

يقول إبراهيم بن أدهم:

- ما قاسيت شيئا من أمر الدنيا أشد على من نفسي مرة عل يّ ومرة لِي، وأما هوايَ فقد والله استعنت بالله عليه فأعانني، واستكفيته سوء مغالبته فكفاني، فو الله ما آسى عليّ ما أقبل من الدنيا ولا ما أدبر منها.

ويقول أبو إسحاق:

- ما قاسيت فيما تركت شيئا أشد على من مفارقة الأوطان.

اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم بن أدهم:

مر رجل من الصناع بإبراهيم بن أدهم فقال أبو إسحاق:

- أليس هذا فلانا؟

قيل:

- نعم.

فقال إبراهيم بن أدهم لرجل من جلسائه:

- أدركه.

فانطلق الرجل وراءه وقال له:

- يقول لك إبراهيم بن أدهم ما لك لم تسلم؟

قال الصانع:

- لا والله إن امرأتي وضعت وليس عندي ش يء فخرجت شبه المجنون.

فرجع الرجل إلى أبي إسحاق وأخبره فقال إبراهيم بن أدهم:

- إنا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به الأمر؟

ثم نظر أبو إسحاق نحو رجل وقال:

- يا فلان ائت صاحب البستان فاستلف منه دينارين، وادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار وادفع الدينار الآخر إليه.

فخرج الرجل، واشترى بدينار من كل شئ، وذهب إلى الصانع فدق الباب فقالت امرأته:

- من هذا؟

قال الرجل:

- أنا شقيق بن إبراهيم أردت فلانا.

قالت المرأة:

- ليس هو هنا.

فقال شقيق بن إبراهيم:

- فمري بفتح الباب وتنحي.

فتحت الباب، فأدخل شقيق بن إبراهيم ما وقر على البعير وألقاه في صحن الدار، وناول المرأة الدينار فقالت:

- على يد من هذا؟

قال شقيق بن إبراهيم:

- قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم.

فقالت المرأة:

- **اللهم لا تنس اليوم لإبراهيم.**

أين الحمار؟

وصحب سهل بن إبراهيم أبا إسحاق في سفر، فأنفق إبراهيم بن أدهم على سهل بن إبراهيم نفقته كلها، ومرض سهل بن إبراهيم واشتهى شهوة - طلب فاكهة أو طعاما - فأخذ إبراهيم بن أدهم حماره وباعه واشترى شهوة سهل بن إبراهيم وجاءه بها فنظر سهل بن إبراهيم فلم ير الحمار فتساءل:

- يا إبراهيم فأين الحمار؟

قال أبو إسحاق:

- يا أخي بعناه.

قال سهل بن إبراهيم:

- يا أخي فعلى أي شيء أركب؟

فقال إبراهيم بن أدهم:

- أخي على عنقي.

وحمل أبو إسحاق سهل بن إبراهيم على عنقه ثلاث منازل.

أفقر بيت في قيسارية:

مر أبو إسحاق بقيسارية وكان معه دينار، فسمع صوت امرأة تصيح فقال إبراهيم بن أدهم:

- ما لهذه؟

قالوا:

- تلد.

قال أبو إسحاق:

- وأي شئ يعمل بالمرأة؟

قالوا:

- يشترى لها طحين وزيت ولحم وعسل.

فصرف إبراهيم بن أدهم دیناره واشترى زنبيلا - جراب كالحقيبة - وملأه طحينا واشترى زيتا وسمنا وعسلا ولحما وحمله على رقبته إلى الباب وقال:

- خذوا.

ونظر أبو إسحاق في جوف البيت فإذا هو أفقر بيت في أهل قيسارية **وأعبدهم**.

الدين:

غزا إبراهيم بن أدهم في البحر، فأتى بثلاثة دنانير سهمه - نصيبه من الغزو والغنيمة - فقال لحامل الدنانير:

- ضعها على هذا الحصير.

فوضعها، رفيق إبراهيم بن أدهم فقال له أبو إسحاق:

- خذ هذه الدنانير فاذهب بها إلى أبى محمد الخياط فقل له: إني سمعتك تذكر أن عليك دينا فاقض دينك.

فأتى رفيق إبراهيم بن أدهم أبا محمد الخياط فقال له:

- إن إبراهيم بن أدهم أرسلني بها لتقضى بها دينك.

فقال أبو محمد الخياط:

- ردها إليه فإني قد رحمته من القمل الذي قد أكله في ثيابه،

وآخذ دنانير ليست تبقى على؟

فعاد رفيق إبراهيم بن أدهم بالدنانير فقال لأبي إسحاق:

- إنه أبى أن يقبلها.

قال إبراهيم بن أدهم:

- ضعها على الحصير.

فقال شيخ من جلساء إبراهيم بن أدهم:

- فأنا يا أبا إسحاق لي عيال وأحتاج إليها.

فقال إبراهيم بن أدهم:

- خذها.

فأخذها الشيخ.

ضاعت الدنانير:

خرج رجل مع إبراهيم بن أدهم إلى الجبل، فاكتراهما قوم يقطعون الأخشاب يهيئون منه القصاع - مفرد قصعة - ولأقداح: مفرد قدح - فحملا المتاع حتى جاءا سوق سلمية فنزل إبراهيم بن أدهم قرية، وحمل الرجل المتاع فباعه بثلاثين دينارا، فبينما الدنانير في كمه ضاعت، فلقيه خص ي لأسماء امرأة عبيد الله بن صالح فعرفه فسأله:

- ما تفعل ههنا؟

فأخبره صاحب أبى إسحاق، فذهب خصي أسماء امرأة عبيد الله بن صالح وجاء بمائتي دينار وقال:

- أين إبراهيم؟

فقال صاحب أبى إسحاق:

- في القرية.

فانطلقا إلى إبراهيم بن أدهم، فأتياه فإذا رأسه في الظل ورجلاه في الشمس فقال صاحبه:

- الدنانير ضاعت.

قال إبراهيم بن أدهم:

- الحمد لله الذي عافانا منها.

فقال الخصي:

- هذه مائتا دينار بعثت بها أسماء إليك.

فقال إبراهيم بن أدهم:

- والله إن لله على نعمة في ذهابها.

إبراهيم بن أدهم والأسد:

عاد إبراهيم بن أدهم إلى مدينة المصورة - المصيصة - فأتى منزل أبى إسحاق الفزاري فقيل له:

- لقد خرج إلى السوق.

فقال إبراهيم بن أدهم:

- أعلموه إذا أتى أن أخاه إبراهيم بن أدهم طلبه وقد ذهب إلى مرج كذا وكذا يرعى فرسه.

فقيل له:

- سنخبره عند عودته إن شاء الله.

ومضى أبو إسحاق إلى ذلك، فإذا الناس يرعون دوابهم، فرعى إبراهيم بن أدهم حتى أمسى، فقال له الناس:

- ضم فرسك إلى دوابنا فإن السباع تأتينا

فأبى أبو إسحاق وتنحى ناحية.

فأوقد الناس النيران حولهم، ثم أخذوا فرسا لهم صؤولا فأتوا أبا

إسحاق به وفيه شكالان - الشكال: العقال والجمع: شُكُلُ - يقودنه بينهم وقالوا لإبراهيم بن أدهم:

- إن في دوابنا رماكا - إناث الخيل - أو حجوراً فليكن هذا عندك

فتساءل أبو إسحاق:

- وما يصنع بهذه الحبال؟

ومسح وجهه وأدخل يده بين فخذيه ووقف لا يتحرك، فتعجبوا من أبى إسحاق لامتناعه وقال إبراهيم بن أدهم:

- اذهبوا.

فجلسوا يرمقون - ينتظرون - ما يكون منه ومن السباع.

قام إبراهيم بن أدهم يصلى وهم ينظرون.

ولما كان في بعض الليل أتت أسد ثلاثة أبا إسحاق يتلوا بعضها بعضا، فتقدم الأسد الأول إليه فشمه ودار به، ثم تنحى ناحية وربض، وجاء الثاني.. والثالث وفعلا كفعل ا لأول، ولم يزل إبراهيم بن أدهم يصلى ليلته قائما، حتى إذا كان السحر قال أبو إسحاق للأسد:

- ما جاء بكم؟ تريدون أن تأكلوني؟ امضوا.

فقامت الأسد الثلاثة. فذهبت.

لقد كان أبو إسحاق على يقين من قول خاتم النبيين ﷺ :

- من خاف الله أخاف الله منه كل شئ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ (رواه أبو الشيخ عن واثلة).

ولما كان الغد جاء أبو إسحاق الفزاري إلى أولئك الناس فسألهم:

- أجاءكم رجل؟

قالوا:

- أتانا رجل مجنون.

وأخبروه بقصته، فقال أبو إسحاق الفزارى:

- أو تدرون من هو؟

قالوا:

- لا.

قال أبو إسحاق الفزاري:

- **هو إبراهيم بن أدهم.**

فمضوا إليه، فسلم وسلموا عليه، ثم صحب أبو إسحاق الفزارى إبراهيم إلى منزله، فمرا برجل كان إبراهيم بن أدهم سأله مقودا يبيعه، وساومه به درهما ودانقين.

قال إبراهيم بن أدهم لأبي إسحاق الفزارى:

- نريد هذا المقود.

فقال أبو إسحاق الفزاري لصاحب المقود:

- بكم هذا؟

قال صاحب المقود:

- بأربعة دوانيق.

فدفع أبو إسحاق الفزارى أربعة دوانيق إلى صاحب المقود وأخذ المقود، فقال إبراهيم بن أدهم:

- أربعة دوانيق دين على؟

*** وكان خلف بن تميم وبعض الرجال مع أبى إسحاق في سفر،** فأتاه رجال فقالوا:

- إن الأسد وقف على طريقنا.

فذهب إبراهيم بن أدهم إلى الأسد وقال له:

- يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به،

وإن لم تكن أمرت فينا بشيء فتنح عن طريقنا.

فمضى الأسد وهو يهمهم.

فقال إبراهيم بن أدهم لأصحابه:

- وما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت الرجاء.

* قال عبد الجبار بن كثير لأبي إسحاق:

- هو هذا السجع قد ظهر لنا.

قال أبو إسحاق:

- أرنيه.

فلما نظر إبراهيم بن أدهم إلى الأسد ناداه:

- يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودك على بدئك.

فضرب الأسد بذنبه ولى ذاهباً.

فعجب الذين كانوا مع أبى إسحاق، كيف فقه الأسد كلام أبى إسحاق؟

ثم أقبل إبراهيم بن أدهم على أصحابه وقال:

- قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، اللهم واكنفنا بكنفك الذي لا يرام، اللهم وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت الرجاء.

* وخرج إبراهيم بن أدهم وبعض أصحابه إلى الجبل فاكتراهم قوم ليقطعوا الخشب ويهبون منه القصاع والأقداح.

وبينما أبو إسحاق يصلى إذا أقبل السبع، فركب الخوف أصحاب إبراهيم بن أدهم وانصدعوا فاقترب عطاء بن مسلم من أبى إسحاق

وقال له:

- ألا ترى ما الناس فيه؟

فتساءل أبو إسحاق:

- وما لهم؟

قال عطاء بن مسلم:

- قلت: هذا السبع خلف ظهرك.

فالتفت إبراهيم بن أدهم إلى السبع وقال له:

- يا خبيث وراءك.

فلوى الأسد عنقه.. وذهب.

فقال إبراهيم بن أدهم لأصحابه:

- ألا قلتم حين نزلتم: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بكنفك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا تكلنا وأنت ثقتنا ورجاؤنا.

في السفينة:

كان إبراهيم بن أدهم ونفر من الرجال منهم معيوف - ابن معيوف أبو زكريا - في البحر فهبت الريح، وهاجت ا لأمواج، واضطربت السفينة، فبكى الناس، فقيل لمعيوف:

- هذا إبراهيم بن أدهم، لو سألته أن يدعو الله.

وكان أبو إسحاق نائما في ناحية من السفينة ملفوف رأسه، فاقترب معيوف منه وقال له:

- يا أبا إسحاق ما ترى ما فيه الناس؟

فرفع إبراهيم بن أدهم رأسه وقال:

- اللهم قد أريتنا قدرتك، فأرنا رحمتك.

فسكتت الريح، وهدأت الأمواج.

* خرج إبراهيم بن أد هم للغزو فركب سفينة، عصفت الريح واشتدت، وهاجت الأمواج، وكان أبو إسحاق ملفوفا في كسائه، فجعل أهل السفينة ينظرون إليه، فقال رجل منهم:

- يا هذا ما ترى ما نحن فيه من هذا الهول، وأنت نائم في كسائك؟

فكشف إبراهيم بن أدهم رأسه وأخرجه من الكساء ورفعه إلى السماء وقال:

- **اللهم قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك.**

قال خلف بن تميم وكان من أهل السفينة:

- فسكن البحر حتى صار كالدهن.

في مكة:

خرج أربعة رجال إلى مكة: إبراهيم بن أدهم، أبو حفص عمر بن عيسى، ورجلان، فساروا إلى أرض الحجاز، ثم ساروا على غير طريق حتى جاءوا المدينة، فاكتروا بيتا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلوا فيه، فقال أبو إسحاق:

- نحن أربعة خدمة البيت وإفطارنا وحوائجنا كل يوم على رجل منا، والثلاثة يذهبون إلى المسجد.

وبينما كانوا جلوسا ذات يوم في البيت إذ أقبل رجل آدم عليه قميص جديد وفي رجله خف وعليه عمامة ومعه مزود يحمله، فدخل عليهم وسلم، ثم قال:

- أين إبراهيم؟

فقالوا:

- هذا منزله وقد ذهب في حاجة.

فمضى الرجل ولم يكلم الرجال الثلاثة.

ورجع إبراهيم بن أدهم ومعه الرجل والمزود على عنقه: فكان الرجل الخامس معهم في البيت، فإذا حضر غداء أو عشاء تنحى الرجل ناحية وخلا بمزوده، بينما أقبل الرجال الأربعة على غدائهم أو عشائهم، وكان إبراهيم بن أدهم لا يدعو الرجل ولا يسأله أن يأكل معهم.

ولما انصرمت ثلاثة أيام قال الرجل لإبراهيم بن أدهم:

- إني أريد الخروج.

فتساءل أبو إسحاق:

- فمتى عزمت؟

قال الرجل:

- الليلة.

ثم خرج الرجل، وخرج إبراهيم بن أدهم معه.

قال أحد الرجال الثلاثة:

- إن هذا الرجل له قصة، وإبراهيم لا يدعوه ولا يأكل معنا، وهو مقبل على هذا المزود، والله لأفتحه فأنظر أي شيء فيه؟

وفتح الرجل المزود فإذا فيه عظام، فشد الرجل المزود كما كان، ولما جاء الرجل أخذ المزود وأنكر رباطه، ونظر في وجوه الرجال الثلاثة وكأنه يقول:

- من الذي فتحه ونظر فيه؟

ثم حمل الرجل مزوده وغادر البيت.

فلما ذهب قال رجل من الرجال الثلاثة:

- يا أبا إسحاق الرجل الذي كان عندنا ما كان أعجب أمره، ما

كان يأكل معنا، وما كنت تدعوه، ولقد ذهب فلان فنظر في مزوده فإذا فيه عظام.

فتغير وجه أبى إسحاق، وأنكر ذلك على الرجل وقال له:

- ما أحسبك تصحبني في سفر بعد هذا، لم نظرت في مزوده؟ ذلك رجل من الجن، وأخانا في الله، فليس من بلد أدخله إلا جاءنا فكان معي فيه يؤنسني ويعينني ثم ينصرف.

ومات الرجل الذي نظر في مزود ذاك الرجل من الجن بمدينة رسول الله ﷺ.

* وقيل:

حج إبراهيم بن أدهم سنة خمسين ومائة من الهجرة، وكان معه بعض أصحابه، فلقي أبو إسحاق شيخا طوالا عليه قميص وكساء، وعلى عاتقه عصا معلق فيها خريطة - وعاء من أدم أو غيره -، فسلم على أبى إسحاق، ثم جعل يسايرهم في ناحية من الطريق، فإذا نزلوا منزلا نزل إلى جانب منهم.

قال إبراهيم بن أدهم لأصحابه:

- لا يكون أحد منكم يكلمه ولا يسأله ولا يسائله عن شئ، ولا من هو؟

فلما دخلوا مكة، نزلوا بدار، فلجأ الشيخ إلى رواق من أقصى الدار فجعل عصاه في كوة وعلق خريطته فيها، فكانوا إذا دخلوا الدار خرج الشيخ، وإذا خرجوا دخل الشيخ.

فأصاب حسر - رجل منهم - وجع في بطنه، فتخلف عن أصحابه فبينما حسر في المخرج وكانت سترته جريد، إذ دخل الشيخ فنظر حوله فلم ير أحدا، فأخذ الخريطة وفتحها فإذا فيها بعر فجعل يأكل منه، فتنحنح حسر، فنظر الشيخ إليه، لقد أيقن أنه رآه وهو يأكل البعر

- روث الإبل -، فأخذ الشيخ خريطته وعصاه وانطلق.

وبينما كان إبراهيم بن أدهم يقرأ القر آن في جوف الليل أفتقد الشيخ، فظن أن أحدا من أصحابه كلمه، فأخبره حسر الخبر، فقال إبراهيم بن أدهم:

- هذا من الجن الذين وفدوا على النبي ﷺ، وكانوا سبعة قراء: ثلاثة من نصيبين، وأربعة من نينوى - قرية يونس بن متى عليه السلام - لم يبق منهم غيره، وهو يلقان ي في كل سنة فيصحبن ي حتى أنصرف.

وخرج إبراهيم بن أدهم ومعه أبو حفص عمر بن حفص - كان غلاما مع أبيه - ونفر من أصحابه إلى مكة، فبينما هم على الطريق قال حفص:

- يا أبا إسحاق أشته ي والله هذه الليلة - كانت ليلة باردة - لحم حمار وحشى كباب على النار.

فسمع أبو إسحاق قول الرجل وسكت.

وساروا إلى خواء قوم أعراب وأخبية فقال إبراهيم بن أدهم:

- لو ملنا وبتنا ههنا حتى نصبح، فإني أحسب أن القر - البرد الشديد - أضر بكم.

قالوا:

- نعم يا أبا إسحاق.

فجاءوا ووقفوا بفناء القوم وقالوا لهم:

- يا هؤلاء هنا مكان نأوي إليه بقية ليلتنا هذه؟

قالوا:

- نعم ذاك الخواء.

فإذا خباء مضروب للأضياف، وإذ عندهم نار تتأجج.

فنزل إبراهيم بن أدهم وأصحابه، وأتى الأعراب بحطب وجمر.

فجعل حفص يلقى الحطب على النار وجعل أبو إسحاق ومن معه يصطلون.

وبينما هم كذلك ساق الله وعلا كبيرا ضخما قد أخذه قوم - طاردوه ورموه بالنبل - فأفلت منهم حتى جاء فوقف بفناء الأعراب، فقاموا إليه وهو مجروح فذبحوه، وجعلوا يقطعون لحمه، وأصحاب إبراهيم بن أدهم ينظرون، فقال بعضهم:

- أضيافكم.

فبعثوا إليهم بقدرة كبيرة من ذلك اللحم، فسأل أبو إسحاق حفصا:

- معك سكين؟

قال حفص:

- نعم.

قال إبراهيم بن أدهم:

- فشرح وألق على النار كما اشتهيت.

وبينما كان إبراهيم بن أدهم في مكة جالسا على جبل أبى قبيس قال رجل:

- يا أبا إسحاق: ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله عز وجل؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- يبلغ من كرامته على الله تعالى لو قال للجبل: تحرك لتحرك.

فتحرك الجبل.

فقال أبو إسحاق وهو يضرب أبا قبيس برجله:

- اسكن إنما ضربتك مثلا لأصحابي، ما إياك عنيت.

مائدة من السماء:

قال عدى الصياد - من أهل جبلة -:

- سمعت يزيد بن قيس يحلف بالله أنه كان ينظر إلى إبراهيم بن أدهم وهو على شط البحر في وقت ا لإفطار - في شهر رمضان - ليرى مائدة توضع بين يديه لا يدرى من وضعها، ثم يراه يقوم فينصرف حتى يدخل جبلة وما معه شيء.

*** طلبت من العبيد وتركت مولاي؟**

كان إبراهيم بن أدهم إذا غزا اشترط على رفقائه الخدمة وا لأذان، فجاءه رفقاؤه يوما وقالوا:

- يا أبا إسحاق إنا قد عزمنا على الغزاة، ولو علمنا أنك تأكل من متاعنا لسررنا بذلك.

قال أبو إسحاق:

- أرجو أن يصنع الله.

ثم قال إبراهيم بن أدهم لخلف بن تميم:

- استقرض من فلان.

ثم سكت.. وعاد يقول:

- لا يخف عليه فلان، لا يخف عليه فلان مُرآي.

ثم خر ساجدا وصب دموعه على خديه ثم قال:

- واسوأتاه، طلبت من العبيد وتركت مولا ي؟ فلحسن ما يقول العبد، إنما دفع إلى مولاي مالا فإن أمرني أن أعطيك فعلت، فارجع إلى المولى بعد ما بذلت وجه ي للعبيد، فليس يقول المولى لي: كان أحق أن تطلب مني لا من غيري؟ واسوأتاه.

ثم خرج إبراهيم بن أدهم إلى الساحل فتوضأ وصلى ركعة، ثم

نصب رجله اليمنى مستقبل القبلة ثم قال:

اللهم قد علمت ما كان وقع في نفسي، وذلك بخطئى وجهلى، فإن عافيتني عليه فأنا أهل لذلك، وإن عفوت عنى فأنت أهل لذلك، وقد عرفت حاجتى فاقض حاجتى.

ووقع في نفس أبى إسحاق أن ينظر عن يمينه، فإذا نحو أربعمائة دينار، فأخذ منها دينارا واحدا ثم رجع إلى أصحابه فأنكروه، وسألوه عن حاله، فكتم زمانا ثم أخبرهم فقالوا:

- يا أبا إسحاق أنت كنت تريد الغزو وقد خرج لك ما ذكرت، أفلا أخذت منه - أربعمائة دينار - ما تقوى به على الغزو؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- أتظنون أن الله لو أراد أن يخرج إلا الذي اطلع عليه ضميري لفعل، ولكن أخرج إلى أكثر مما اطلع عليه من ضميري ليختبرن ي، والله لو أنها عشرة آلاف - دينار - ما أخذت منها إلا الذي اطلع عليه من ضميري.

اعمل للجنة

خرج إبراهيم بن أدهم للغزو في البحر، فلما صاروا في بعض الطريق سمعوا جلبة، فإذا إبراهيم بن صالح قد خرج في طلب الصيد بالبازات والشواهين، ومعه جواريه مرخيات شعورهن، منكشفات، فلما نظر رجل إليهن قال له إبراهيم بن أدهم:

- مه يا فديك، لا تنظر إليهن إنهن قذرات، يهرمن ويتغوطن ويبلن ويحضن، فاعمل للائى لا يحضن ولا يهرمن ولا يبلن - يعنى الحور العين في الجنة -، عربًا أترابا كأنهن وكأنهن.

فمضوا حتى صاروا بين العنب فنظر أبو إسحاق إلى أعنا ق العنب وقال لفديك:

- يا فديك انظر إلى المقطوع الممنوع واعمل للت ي لا مقطوعة ولا ممنوعة.

ثم مضوا حتى انتهوا إلى سور واجتمعوا خمسة نفر وفيهم أبو المرثد، فقال إبراهيم بن أدهم:

- الجمع يكون أعظم للبركة.

وافترقوا ليأتي كل واحد منهم بدينارين.

ومضى أبو إسحاق وهم يعلمون أنه ليس معه ش يء، فتبعه رجل منهم ينظر من أين يأتي إبراهيم بن أدهم بدينارين؟

ذهب أبو إسحاق إلى خلاء من الأرض فصلى ركعتين.

يقول الرجل الذي تبع إبراهيم بن أدهم:

- أحلف بالله أن أبا إسحاق رأيت حوله ذهبًا كذا، فأخذ منه دينارين.

وعاد أبو إسحاق وفي كفه دينارين فركبوا السفينة.

على بن أبى طالب.. ومعاوية بن أبى سفيان:

سأل شريك أبا إسحاق:

- ما رأيك عما كان بين عليّ ومعاوية؟

فبكى إبراهيم بن أدهم.

فندم شريك على سؤاله إياه، ولكن أبا إسحاق رفع رأسه وقال:

- إنه من عرف نفسه اشتغل بنفسه، ومن عرف ربه اشتغل بربه عن غيره

من أقوال إبراهيم بن أدهم:

* الفقر مخزون عند الله في السماء بعد الشهادة لا يعطيه إلا من أحب.

* ذهب السخاء والكرم والجود والمواساة، فمن لم يواس الناس بماله وطعامه وشرابه فليواسهم ببسط الوجه والخلق الحسن، لا تسكنون في كثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم ولا تميلون إلى ضعفائكم، ولا تنبسطون إلى مساكينكم.

* قال لقمان لابنه ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن، لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا في الحرب إذا لق ى الأقران، ولا أخاك إلا عند حاجتك إليه.

* الهوى يُوردي وخوف الله يشفى، واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من تعلم أنه يراك.

* أشد الجهاد جهاد الهوى من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظًا ومعافى من أذاها.

* اذكر ما أنت صائر إليه حق ذكره، وتفكر فيما مضى من عمرك، هل تثق به وترجو النجاة من عذاب ربك؟ فإنك إذا كنت كذلك شغلت قلبك بالاهتمام بطريق النجاة عن طريق اللاهين الآمنين المطمئنين الذين اتبعوا أنفسهم هواها فأوقفهم على طريق هلكتهم لا جرم سوف يعلمون، وسوف يتأسفون، وسوف يندمون {وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ } [سورة الشعراء الآية: ٢٢٧].

* لم يصدق الله من أحب الشهرة.

* سأل إبراهيم بن بشار - خادم أبى إسحاق - إبراهيم بن أدهم عن العبادة فقال:

- رأس العبادة التفكر والصمت إلا من ذكر الله، ولقد بلغن ي حرف - يعنى عن لقمان - قيل له: يا لقمان ما بلغ من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني.

ثم قال أبو إسحاق:

- يا ابن بشار إنما ينبغي للعبد أن يصمت أو يتكلم بما ينفع به، أو ينفع به من موعظة أو تنبيه أو تخويف أو تحذير، واعلم أن إذا كان للكلام مثل كان أوضح للمنطق، وأبين في المقياس، وألقى للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.

يا ابن بشار مثل لبصر قلبك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض روحك، فانظر كيف تكون؟ ومثل له هول المطلع ومسائلة منكر ونكير، فانظر كيف تكون؟ ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها والعرض والحساب والوقوف، فانظر كيف تكون؟

ثم صرخ صرخة ووقع مغشيًا عليه.

*** أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على ا لأبدان، ومن وفى في العمل وفى الأجر، ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير.**

* لا يقل مع الحق فريد، ولا يقوى مع الباطل عديد.

* قيل لإبراهيم بن أدهم:

- إن فلانًا يتعلم النحو.

فقال أبو إسحاق:

- هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج.

- حب لقاء الناس من حب الدنيا، وتركهم من ترك الدنيا.

* إذا قيل لإبراهيم بن أدهم:

- كيف أنت؟

قال أبو إسحاق:

- بخير ما لم يحمل مؤنتي غيري.

* إن الله تعالى بالمسافر لرحيم، وإن الله تعالى لينظر إلى المسافر

كل يوم نظرات، وأقرب ما يكون المسافر من ربه إذا فارق أهله.

* قال إبراهيم بن أدهم للأوزاعي:

- يا أبا عمر وكثيرًا ما يقول: لمالك بن دينار: إن من عرف الله تعالى في شغل شاغل، **وويل لمن ذهب عمره باطلاً**.

* إنما زهد الزاهدون في الدنيا اتقاء أن يشركوا الحمقى، والجهال في جهلهم.

* كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب.

* رئي إبراهيم بن أدهم خارجًا من الجبل فقيل له:

- من أين قادم؟

قال أبو إسحاق:

- من الأنس بالله عز وجل.

* منَّ الله عليكم بالإسلام فأخرجكم من الشقاء إلى السعادة، ومن الشدة إلى الرخاء، ومن الظلمات إلى الضياء، فشبتم نعمة عليكم بالكفران، ومرَّرْ تم بالخطأ حلاوة الإيمان، ووهنتم بالذنوب عرى الإيمان، وهدمتم الطاعة بالعصيان، وإنما تمرون بمراصد ا لآفات، وتمضون على جسور الهلكات، وتبنون على قناطر الزلات، وتحصنون بمحاصن الشبهات، فبا لله تغترون، وعليه تجترؤون، ولأنفسكم تخدعون، ولله لا تراقبون؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

* أنعم الله عليك فلم تكن في وقت أنعمه شكورًا، ولا يغررك حلمه، واذكر مصيرك إلى القبور، واعمل ليومك يا أخي قبل حشر الصدور.

* قال لقمان لابنه: يا بني إن الرجل ليتكلم حتى يقال أحمق، وما هو بأحمق، وأن الرجل ليسكت حتى يقال له حليم وما هو بحليم.

* قال بقية بن الوليد لأبي إسحاق:

- أكنيك أم أدعوك باسمك؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- إن كنيتني قبلت منك، وإن دعوتني باسمي فهو أحب إلى.

ثم قال إبراهيم بن أدهم:

- يا بقية كن ذَنَبًا ولا تكن رأْسًا، فإن الذنب ينجو والرأس يهلك - يعنى إن الفقير ينجو من الحساب يوم القيامة والغنى يهلك -.

* إنك إذا أدمنت النظر في مرآة التوبة بلن - ظهر - لك شين قبح المعصية.

* ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم.

* خرج رجل في طلب العلم فلستقبل حجراً فإذا فيه:

أَقْلبني تعتبر.

فبقى الرجل لا يدرى ما يصنع به، فمضى، ثم رجع فقلبه، فإذا هو منقور - الكتابة بالحفر -:

أنت لا تعمل بما تعلم، فكيف تطلب علم ما لا تعلم؟

فلنصرف الرجل - طالب العلم - إلى منزله.

*** الزهد ثلاثة أصناف فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة.**

فالفرض الزهد في الحرام، والفضل الزهد في الحلال، والسلامة الزهد في الشبهات.

* قال رجل لإبراهيم بن أدهم:

- يا أبا إسحاق قصدتك من خراسان لأصحبك.

قال أبو إسحاق:

- على أن أكون بمالك أحق به منك.

قال الرجل:

- لا

قال إبراهيم بن أدهم:

- قد صدقتني فنعم الصاحب أنت.

* تعلمت المعرفة من راهب:

قال إبراهيم بن أدهم:

- تعلمت المعرفة من راهب يقال له أبا سمعان.

دخل أبو إسحاق على الراهب في صومعته فقال له:

- يا أبا سمعان منذ كم أنت في صومعتك هذه؟

قال أبو سمعان:

- منذ سبعين سنة.

تساءل إبراهيم بن أدهم:

- فما طعامك؟

قال الراهب:

- يا حنيفي فما دعاك إلى هذا؟

قال أبو إسحاق:

- أحببت أن أعلم.

قال أبو سمعان:

- في كل ليلة حمصة.

قال إبراهيم بن أدهم:

- فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيه هذه الحمصة؟

قال الراهب:

- ترى الدير بحذائك؟

قال أبو إسحاق:

- نعم

قال أبو سمعان:

- إنهم يأتوني في كل سنة يومًا واحدًا فيزينون صومعتي ويطوفون حواليها ويعظمونني بذلك، فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة تلك الساعة وأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة، ف أحتمل يا حنيفي - يا مسلم لان الإسلام حنيف - جهد ساعة لعز الأبد.

يقول إبراهيم بن أدهم:

- فوقر في قلبي المعرفة.

قال الراهب:

- حسبك أو أريدك؟

قال أبو إسحاق:

- بلى.

قال أبو سمعان:

- أنزل عن الصومعة.

فنزل إبراهيم بن أدهم، فأدلى الراهب له ركوة فيها عشرون حمصة.

قال أبو سمعان لأبي إسحاق:

- أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك.

فلما دخل إبراهيم بن أدهم الدير اجتمعت حوله النصارى وقالوا:

- يا حنيفي ما الذي أدلى إليك الشيخ؟

قال أبو إسحاق:

- من قوته.

قالوا:

- وما تصنع به؟ نحن أحق به، ساوم.

قال إبراهيم بن أدهم:

- عشرين دينارًا.

فأعطوا أبا إسحاق عشرين دينارًا.

فرجع إبراهيم بن أدهم إلى الراهب فقال له:

- يا حنيفي ما الذي صنعت؟

قال أبو إسحاق:

- بعته.

قال أبو سمعان:

- بكم؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- بعشرين دينارًا.

قال الراهب:

- أخطأت، لو ساومتهم عشرين ألفًا لأعطوك، **هذا عز من لا يعبده، فانظر كيف يكون عز من يعبده؟** يا حنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيأة.

* ومر إبراهيم بن أدهم براهب في صومعته، والصومعة على عمود، والعمود على قمة الجبل، كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناداه أبو إسحاق:

- يا راهب.

فلم يرد عليه، فقال إبراهيم بن أدهم في الثالثة:

- بالذي حبسك في صوم عتك ألا أجبتني.

فأخرج الراهب رأسه من صومعته وقال:

- لم تنوح؟ سميتني باسم لم أكن له بأهل.

قال أبو إسحاق:

- يا راهب ولست براهب.

قال الراهب:

- إنما الراهب من رهب ربه.

فتساءل إبراهيم بن أدهم:

- فما أنت؟

قال الراهب:

- سجان، سجَنْتُ سبعًا من السِّباعَ.

قال إبراهيم بن أدهم:

- ما هو؟

قال الراهب:

- لساني سبع ضار، إن سيبته مزق الناس، يا حنيفي إن لله عبادًا صما سمعا، وبكما نطقا، وعميا بصرا، سلكوا خلال دار الظالمين، واستوحشوا مؤانسة الجاهلين، وشابوا تمرة العلم بنور الإخلاص، وقلعوا بريح اليقين حتى أرسوا نور ا لإخلاص، هم والله عباد كحلوا أعينهم بسهر الليل، فلو رأيتهم في ليلهم وقد نامت عيون الخلق وهم قيام على أطرافهم، يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم، يا حنيفي عليك بطريقهم.

قال إبراهيم بن أدهم:

- على الإسلام أنت؟

قال الراهب:

- ما - أعرف غير الإسلام دينًا، ولكن عهد إلينا المسيح عليه السلام ووصف لنا آخر زمانكم فخليت الدنيا، وإن دينك جديد، وإن خلق - ثوب خلق بال، ويقصد هنا وإن مر على الإسلام سنون طويلة -.

* ولقي إبراهيم بن أدهم عابدًا من العباد قيل إنه لا ينام الليل فقال له:

- لم لا تنام؟

قال العابد:

- **منعتني عجائب القرآن.**

لما علم أبو إسحاق أن أباه قد مات:

كان إبراهيم بن أدهم في مكة فلقيه قوم من بلخ فقالوا له:

- آجرك الله، مات أبوك.

فتساءل إبراهيم بن أدهم:

- مات؟

قالوا:

- نعم.

قال أبو إسحاق:

- إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله.

قالوا:

- قد أوصى إليك وقد ضجر العامل جمع ما خلف - كناية عن كثرة المال وما ترك أدهم -.

فرجع إبراهيم بن أدهم إلى بلخ فأتى العامل فقال له:

- أنا ابن الميت.

قال العامل:

- ومن يعلم؟

فقال إبراهيم بن أدهم:

- السلام عليكم.

وخرج من بلخ يريد السفر إلى مكة، فقال أهل بلخ للعامل:

- هذا إبراهيم بن أدهم، الحقه، لا تكون أغضبته فيدعو عليك.

فانطلق العامل وراءه فلحقه وقال له:

- ارجع واجعلني في حل، ما عرفتك.

قال أبو إسحاق:

- قد جعلتك في حل من قبل أن تقول لي.

ورجع إبراهيم بن أدهم إلى بلخ وأنفذ وصايا أبيه، وقسم نصيبه على الورثة وخرج راجعًا إلى مكة.

إبراهيم بن أدهم يرى جبريل عليه السلام:

رأى أبو إسحاق في المنام كأن جبريل عليه السلام قد نزل إلى الأرض فقال له:

- لم نزلت إلى الأرض؟

قال جبريل عليه السلام:

- **لأكتب المحبين**.

فتساءل إبراهيم بن أدهم:

- مثل من؟

قال الروح الأمين عليه السلام:

- مثل مالك بن دينار، وثابت البناني، وأيوب السختياني.

وعدد جماعات.

فعاد أبو إسحاق يتساءل:

- أنا منهم؟

قال جبريل عليه السلام:

- لا.

فقال إبراهيم بن أدهم:

- فإذا كتبتهم فاكتب تحتهم.. للمُحبيّن.

فنزل الوحي:

- **اكتبه أولهم.**

إبراهيم بن أدهم وخادمه إبراهيم بن بشار:

قال إبراهيم بن بشار:

- ما رأيت في جميع من لقيته من العباد والعلماء والصالحين والزهاد أحدًا يبغض الدنيا ولا ينظر إليها مثل إبراهيم بن أدهم.

مر أبو إسحاق وإبراهيم بن بشار ذات ضحى على قوم قد هدموا حائطًا أو دارًا، فلم ينظر إليها إبراهيم بن أدهم بل كان يحول وجهه ولا يملأ عينيه من النظر إليها، فعاتبه خادمه على ذلك فقال أبو إسحاق:

- يا ابن بشار اقرأ ما قال الله تعالى :{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [سورة الملك الآية: ٢]، ولم يقل: أيكم أحسن عمارة للدنيا، وأكثر حبًا وذخرًا وجمعًا لها.

ثم بكى إبراهيم بن أدهم وقال:

- صدق الله عز اسمه فيما يقول :{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [سورة الذاريات الآية: ٥٦]، ولم يقل: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوا الدنيا، ويجمعوا الأموال، ويبنون الدور، ويشيدون القصور، ويتلذذون ويتفكهون، ويجعل يومه أجمع يردد ذلك ويقول فبهداهم اقتده :{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾} [سورة البينة الآية: ٥].

ثم قال إبراهيم بن أدهم:

- رضينا من أعمالنا بالمعان ي، ومن التوبة بالتوان ي، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

يقول إبراهيم بن بشار:

- سمعت أبا إسحاق يقول مكتوب في بعض كتب الله:

من أصبح حزينًا على الدنيا فقد أصبح ساخطًا على الله، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به أصبح يشكو ربه، وأيما فقير جلس إلى غنى فتضعضع له لدنياه ذهب ثلث دينه، ومن قرأ القرآن فاتخذ آيات الله هزوا دخل النار.

* ومر إبراهيم بن أدهم وخادمه برجل قد أصيب بمال ووقع الحريق في دكانه، فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال: له إبراهيم بن أدهم:

- يا عبد الله إن المال مال الله، متعك به إذا شا ء، وأخذه منك إذا شاء، فاصبر لأمره ولا تجزع، فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر له على البلية، ومن قدَّمَ وجد، ومن أخر فقد وندم.

ثم صار أبو إسحاق بجانب إبراهيم بن بشار وقال له:

- دارنا أمامنا، وحياتنا بعد موتنا إما إلى جنة وإما إلى نار.

ثم وضع يده على كتف خادمه وقال:

- والله ما الحياة بثقة فيرجى يومها، ولا المنية تغدر فيؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء وأمر الله جد.

ومر إبراهيم بن أدهم مع إبراهيم بن بشار يومًا من ا لأيام في الصحراء، فأتيا على قبر مسنم، فترحم أبو إسحاق عليه وبكى فقال خادمه:

- قبر من هذا؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- هذا قبر **حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها** ، كان غارقًا في بحار الدنيا، ثم أخرجه الله منها واستنقذه، ولقد بلغني أنه سر ذات يوم بشيء من ملاه ي ملكه ودنياه، وغروره وفتنته.

ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله، فرأى رجلاً واقفًا على رأسه بيده كتاب فناوله، ففتحه، فإذا فيه كتاب من الذهب مكتوب: لا يؤثرن فانيًا على باق، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك، وخدمك وعبيدك، ولذاتك وشهواتك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن ما بعده هلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق له بعد، فسارع إلى أمر الله فإن الله تعالى قال :{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣} [سورة آل عمران الآية: ١٣٣].

فانتبه فزعًا وقال:

- هذا تنبيه من الله تعالى وموعظة.

فخرج من ملكه لا يعلم به أحد، وقصد هذا الجبل فتعبد فيه، فلما بلغني قصته وحدثت بأمره قصدته فسألته فحدثني ببدء أمره، وحدثته بأمري، فما زلت أقصده حتى مات ودفن ه اهنا، فهذا قبره رحمه الله.

ثم نظر إلى خادمه وقال:

- يا ابن بشار: على القلب ثلاثة أغطية، **الفرح والحزن والسرور**، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فلنت معجب، والعجب يحبط العمل، ودليل ذلك كله قوله تعالى:{ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ } [سورة الحديد

الآية: ٢٣].

يا ابن بشار تحليل الخير كثير، وقليل الشر كثير، واعلم يا ابن بشار أن الحمد مغنم، والذم مغرم.

يا ابن بشار: خالفتم الله فيما أنذر وحذر، وعصيتموه فيما نهى وأمر، وكذبتموه فيما وعد وبشر، وكفرتموه فيما أنعم وقدر، وإنما تحصدون ما تزرعون، وتجنون ما تغرسون، وتكافأون بما تفعلون، وتجزون بما تعملون، فاعلموا إن كنتم تعقلون، وانتبهوا من وسن رقدتكم لعلكم تفلحون.

يا ابن بشار قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث الغم والجزع.

يا ابن بشار: بؤسًا لأهل النار لو نظروا إلى زوار الرحمن قد حملوا على النجائب يزفون إلى الله زفًا، وحشروا وفدًا وفدًا، ونصبت لهم المنابر، ووضعت لهم الكراسي، وأقبل عليهم الجليل بوجهه ليسرهم وهو يقول:

- إليَّ عبادي إليَّ عبادي إليَّ أولياءي المطيعين، إليَّ أحباءي المشتاقين، إليَّ أصفياءي المخزونين هأنذا عرفوني من كان منكم مشتاقًا أو محبًا أو متعلقًا فليتمتع بالنظر إلى وجهي الكريم، وعزتي وجلالي لأفرحنكم بجِوَاري ولأسرنكم بقربي، ولأبيحنكم كرامتي، من الغرفات تشرفون، وتتكئون على الأسرة، فتتملكون، تقيمون في دار المقامة أبدا لا تظمأون، تأمنون فلا تحزنون، تصحون فلا تسقمون - تمرضون - ولا تسأمون، تتمتعون في رغد العيش ولا تموتون، وتعانقون الحور الحسان، فلا تملون ولا تسأمون، كلوا واشربوا هنيئًا، وتنعموا كثيرًا بما أنحلتم الأبدان، وأنهكتم الأجساد، ولزمتم الصيام، وسهرتم بالليل والناس نيام.

دعاء إبراهيم بن أدهم:

كان عامة دعاء أبى إسحاق: اللهم انقلن ي من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

يقول إبراهيم بن بشار - خادم أبى إسحاق -:

- سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة، إذا أنت آنستني بذكرك، ورزقتن ي حبك، وسهلت عليَّ طاعتك، فاعط الجنة لمن شئت.

وقال:

- اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة فما دونها، إذا أنت وهبت لي حبك وآنستني بمذاكرتك، وفرغتني للتفكر في عظمتك.

ويقول إبراهيم بن بشار:

- كان إبراهيم بن أدهم يقول هذا الكلام في كل جمعة إذا أصبح عشر مرات، وإذا أمسى يقول مثل ذلك:

مرحبًا بيوم المزيد، والصبح الجديد، والكتاب الشهيد، يومنا هذا يوم عيد، اكتب لنا فيه ما نقول: بسم الله الحميد المجيد، الرفيع الودود، الفعال في خلقه ما يريد، أصبحت بالله مؤمنًا، وبلقاء الله مصد قًا، وبحجته معترفًا، ومن ذنبي مستغفرًا، ولربوبية الله خاضعًا، ولسوى الله جاحدًا، وإلى الله تعالى فقيرا، وعلى الله متوكلاً، وإلى الله منيبًا، أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبيائه ورسله وحملة عرشه، ومن خلق ومن هو خالق **بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له** ، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وأن الجنة حق، والنار حق، والحوض حق، والشفاعة حق، ومنكر ونكير حق، ولقاءك حق، ووعدك حق، ووعيدك حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، على ذلك أحيا وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله.

اللهم أنت ر بي لا رب إلا أنت، خلقتن ي وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن ا لأخلاق فإنه لا يهد ي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت.

لبيك وسعديك والخير كله بيديك، وأنا لك أستغفرك وأتوب إليك، آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت بما أنزلت من كتاب على محمد ﷺ كثيرًا خاتم كلامي ومفتاحه، وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يا رب العالمين.

اللهم أوردنا حوضه، واسقنا بكأسه مشربًا مريئًا سائغًا هنيئًا لا نظمأ بعده أبدًا، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكسين ولا مرتابين ولا مقبوحين ولا مغضوبًا علينا ولا ضالين.

اللهم اعصمن ي من فتن الدنيا ووفقن ي لما تحب من العمل وترضى، وأصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تضلني وإن كنت ظالمًا.

سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم، يا باري يا رحيم، يا عزيز يا جبار.

سبحانك سبحانك من سبحت له السماوات بأكنافها، وسبحان من سبحت له الجبال بأصواتها، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراقها، وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها ونضارتها، وسبحان من سبحت له السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن.

سبحانك سبحانك يا حي يا حليم.

سبحانك لا إله إلا أنت وحدك.

أبو إسحاق وأمير المؤمنين:

دخل إبراهيم بن أدهم على أبى جعفر أمير المؤمنين فقال:

- كيف شأنكم يا أبا إسحاق؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- يا أمير المؤمنين:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا:

كان إبراهيم بن أدهم في المسجد الحرام ذات يوم، فغلبته عينه فنام، فرأى حول البيت سرادقات خضر مكتوب عليها ببياض:

ينبغي لمن عرف قدر ي أن لا يعصي أمر ي، ولمن عرف لي فيمن يقف بين يدي، أن يحاسب نفسه قبل قدومه عليَّ، ولمن عرف إحساني لا ينساني، ولمن عرف كرمي أن يشكرني.

إبراهيم بن أدهم يكتب إلى بعض إخوانه:

كتب أبو إسحاق إلى بعض إخوانه:

أما بعد فعليك بتقوى الله الذي لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره، واتق الله، فإنه من اتقى الله عز وجل عز وقوى، وشبع وروى، ورفع عقله عن الدنيا، فبدنه منظور بين ظهران ي الدنيا، وقلبه معاين للآخرة، فأطفأ بصر قلبه ما أبصرت عيناه من حب الدنيا، فقد حرامها وجانب شهواتها، وأضر بالحلال الصافي منها إلا ما بدله من كسرة يشد بها صلبه، أو ثوب يوارى به عورته من أغلظ ما يقدر عليه وأخشنه، ليس له ثقة ولا رجاء إلا الله، قد رفعت ثقته ورجاؤه من كل شئ مخلوق، ووقعت ثقته ورجاؤه على خالق ا لأشياء، فجد وهزل وأنهك بدنه لله حتى غارت عيناه وبدت ا لأضلاع، وأبدله الله تعالى

بذلك زيادة في عقله، وقوة في قلبه، وما دخر له في الآخرة أكثر.

فارفض يا أخي الدنيا، فإن حب الدنيا يصم ويعمى، ويذل الرقاب، ولا تقل غدا وبعد غد، فإنما هلك من هلك بإقامتهم على الأماني حتى جاءهم الحق - الموت - بغتة وهم غافلون، فنقلوا على إصرارهم إلى القبور المظلمة الضيقة، وأسلمهم الأهلون والولد، فانقطع إلى الله بقلب منيب، وعزم ليس فيه شك.. والسلام.

أنت الراكب وأنا الماشي:

حج إبراهيم بن أدهم ماشيًا فقابله حاج يركب جملاً فقال له:

- كأنك مجنون تسير من البصرة إلى مكة ماشيًا على قدميك؟

وكان أبو إسحاق يصلى ركعتين بعد كل مرحلة.

قال إبراهيم بن أدهم:

- إنني أركب مطايا كثيرة ولكنك لا تراها؟

فتساءل الراكب:

- وما هذه المطايا يا إبراهيم؟

قال أبو إسحاق:

- إذا أصابتني مصيبة **ركبت مطية الصبر**.

وإذا أنعم الله على بنعمة **ركبت مطية الشكر**.

فإذا أنزل بي قضاء الله وقدره **ركبت مطية الرضا**.

فإذا نازعتني نفسي شهوة قلت لها: يا نفسي ما بقى من العمر مقدار ما مضى.

فقال الرجل الراكب:

- اذهب يا إبراهيم فوالله لأنت الراكب وأنا الماشي.

لو علم العباد حب الله عز وجل:

قال إبراهيم بن أدهم:

لو أن العباد علموا حب الله عز وجل لقل مطعمهم ومشربهم وملبسهم وحرصهم، ذلك أن ملائكة الله أحبوا الله فاشتغلوا بعبادته عن غيره، حتى أن منهم قائمًا راكعًا وساجدًا منذ خلق الله تعالى الدنيا ما التفت إلى من عن يمينه وشماله، واشتغالاً بالله عز وجل وبخدمته.

طهرنا قلبه لأجلك:

مر إبراهيم بن أدهم بسكران على قارعة الطريق، فاقترب منه وقعد عند رأسه، وجعل ينظر إليه ويبكى ويقول:

ياليت شعري بأي ذنب أصابتك هذه الفتنة؟

ثم وضع رأسه في حجره، ومسح وجهه، ثم دعا بماء فغسل وجهه وفمه ثم مضى أبو إسحاق وترك السكران، فلما أفاق أخبر بذلك، فخجل السكران، وندم، وتاب إلى الله عز وجل، وأتى إلى أبى إسحاق وعاهده أن لا يعود إلى شرب الخمر والمعصية أبدًا.

ورأى إبراهيم بن أدهم في منامه كأن قائلاً يقول له:

- يا إبراهيم أنت طهرت فمه لأجلنا، ونحن طهرنا قلبه لأجلك.

طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى:

ذات يوم كان إبراهيم بن أدهم يعمل بفأسه فجاءه رجل قال:

- السلام عليك يا إبراهيم..

فقال أبو إسحاق وهو ينظر إلى الرجل في عجب ودهشة:

- وعليك السلام.. كيف عرفتني؟

قال الرجل:

- كنت عبدًا لأبيك وهربت ثم راجعت نفسي وأنت وارث أبيك فخذني وخذ هذا المال الوفير الذي جمعته فالعبد وما ملكت يداه لسيده.

فقال إبراهيم بن أدهم:

- يا أيها الرجل إن كنت غير صادق فليس المال لي ولا أنت لي، وإن كنت صادقًا فاذهب فأنت حر لوجه الله، والمال لك.

فلما أولاه الرجل ظهره بسط يديه ورفع وجهه إلى السماء وقال:

- الحمد لله طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى، والناس طلبوا الغنى فاستقبلهم الفقر، والملوك هم العبيد.

والنفس تأبى أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها
فغنى النفوس هو العفاف فإن أبت ... فجمع ما في الأرض لا يكفيها

وصايا العارفين:

قيل لأبي إسحاق:

- أوصنا بما ينفعنا.

قال إبراهيم بن أدهم:

إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا أنتم بأمر الآخرة.

وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم.

وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين فاشتغلوا بخدمة رب العالمين.

وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم.

واتخذوا من هذه الدنيا زادًا يوصلكم إلى الآخرة، فإنما الدنيا مزرعة الآخرة.

حوار حكيم:

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم فقال له:

- يا أبا إسحاق: إني مسرف على نفسي، فأعرض على ما يكون لها زاجرًا ومستنقذا.

قال سلطان الزاهدين:

- إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لي تضرك المعصية.

فقال الرجل:

- هات يا أبا إسحاق.

قال إبراهيم بن أدهم:

- أما الأولى: فإذا أردت أن تعصى الله تعالى فلا تأكل رزقه.

فتساءل الرجل:

- فمن أين آكل؟ وكل ما في الأرض رزقه؟

قال سلطان الزاهدين:

- يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال الرجل:

- لا، هات الثانية.

قال أبو إسحاق:

- وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده.

فتساءل الرجل:

- هذا أعظم، فأين أسكن؟

قال إبراهيم بن أدهم:

- يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟

قال الرجل:

- هات الثالثة.

قال أبو إسحاق:

- وإذا أردت أن تعصيه وأن تأكل رزقه وفي بلاده فانظر

موضعًا لا يراك فيه فاعصيه.

قال الرجل مستنكرًا:

- يا إبراهيم ما هذا وهو يطلع على ما في السرائر ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؟

قال سلطان الزاهدين:

- يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به؟

قال الرجل:

- هات الرابعة.

قال أبو إسحاق:

- فإذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحًا وأعمل لله عملا صالحًا.

قال الرجل:

- لا يقبل مني.

قال إبراهيم بن أدهم:

- يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه جاءك لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟

قال الرجل:

- هات الخامسة.

قال أبو إسحاق:

- إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال الرجل:

- إنهم لن يدعوني ولن يقبلوا مني.

فتساءل سلطان الزاهدين:

- فكيف ترجو النجاة إذن؟

رفع الرجل يديه بحذاء كتفيه وقال:

- يا إبراهيم حسبي - كفى - حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

فكان الرجل لتوبته وفيًا، ولزم العبادة، واجتنب المعاصي حتى فارق الفانية.

سلطان الزاهدين ورواية الحديث:

روى إبراهيم بن أدهم عن جماعة من التابعين وتابعي التابعين مسندًا ومرسلاً، ولقيَّ من الكوفيين والبصريين عدة، ولم تكن الرواية من شأنه.

ومن الأحاديث التي رواها أبو إسحاق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- **إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهي إلى الله ورسوله، ومن كانت نيته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه** - (رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن عمر).

وقول رسول ﷺ :

- **إنما تفسير حسن الخلق ما أصاب الدنيا يرضى، وإن لم يصبه لم يسخط** - (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبى هريرة).

وقول خاتم النبيين ﷺ :

- **من ترك زينة الله ووضع ثيابًا حسنة تواضعًا لله وابتغاء وجهه، كان حقًا على الله أن يكسوه من عبقري الجنة في تخات الياقوت** - (رواه أبو نعيم في الحلية، وابن النجار عن عبد الله بن

عباس).

وقول طبيب القلوب والعقول ﷺ :

- **لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله مالاً فصرفه في سبيل الخير، ورجل أتاه الله علمًا فعلمه وعمل به** - (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبى هريرة).

وقول المبعوث للناس كافة ﷺ :

- **من تواضع لله رفعه، ومن اقتصد أغناه الله، ومن ذكر الله أحبه الله** - (رواه ابن النجار عن أبى هريرة).

وقول السراج المنير ﷺ :

- **من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** - (رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن عمر).

إبراهيم بن أدهم . . والجنة:

نام إبراهيم بن أدهم ذات ليلة فرأى في المنام كأن الجنة فتحت له، فإذا فيها مدينتان إحداهما من ياقوتة بيضاء، وا لأخرى من ياقوتة حمراء فقيل له:

- اسكن هاتين المدينتين فإنهما في الدنيا.

فقال أبو إسحاق:

- ما اسمهما؟

قيل له:

- اطلبهما فإنك تراهما كما أريتهما في الجنة.

فركب يطلبهما فرأى رباطات خراسان، فقال لخادمه:

- يا فرج ما أراهما.

ثم جاء إلى قزوين، ثم ذهب إلى المصيصة، والثغور، حتى أتى

الساحل ناحية صور، فلما صار بالنواقير - وهي نواقير نقرها سليمان بن داود عليهما السلام على جبل على البحر - فلما صعد أبو إسحاق عليهما رأى صور فقال لمولاه:

- يا فرج هذه إحدى المدينتين.

فجاء حتى نزلها.

وفاة إبراهيم بن أدهم:

لما مرض إبراهيم بن أدهم جعل عند رأسه ما يأكله الأصحاء لئلا يتشبه بالشاكين.

ومات إبراهيم بن أدهم في صور ودفن في موضع يقال له **مدفلة**.

وقيل:

إنه توفى في جزيرة من جزائر بحر الروم وهو مرابط، وأنه ذهب إلى الخلاء ليلة مات نحوًا من عشرين مرة، وفي كل مرة يجدد وضوءه.

وكان به البطن.

فلما كانت عشية الموت قال:

- أوتروا لي قوسي.

فأوتروه، فقبض عليه، فمات وهو قابض على قوسه يريد الرم ي به إلى العدو.

* * *